كبرياء الألم

وراحة النفس في الشكوى ولذتها
لو أمكنت ، لا تساوى ذلة الشاكى
« أسامة بن منقذ »

للأستاذ أمجد الطرابلسى

أتظلُّ تخفق فى الأضالع واهيا ... يا قلب حسبك! ان ترانى شاكيا
يا ذلة الباكى ! إذا أعداؤه ... شمتوا بهُ ، والخِل أصبح رائيا.
يا ذلة الباكى ! لَجرحى لاهِياً ... أرضى لنفسىَ يا خفوق ونارِيا
اكتم لهيبك ما تقسمك الأسى ... لا يرخصن بكاك جرحاً غاليا
واشمخ بأنفك فى الخطوب ولا يكن
غلف القلوب أشـــد منك تعاليا

وأتكرم الألم المخلِّد ، ولتكن ... بلظى تـكتمه الضلوع مباهيا
فالـكون تضحكه الدموع إذا جرت !
أتظـل تضحك ذا الزمانَ اللاهيا ؟

والمجد للألم الدفين على المدى ... لا للذى يؤذى المسامع باكيا
والوجـد أنبله كمينٌ صامت ... وأجله ما كان جُرحاً خافيا
كنز من الالهام لا تلقى له ... بين الـكنوز مشابهاً ومساويا
يهب الجلال لمن يطيق صيانه ... والعبقرية والشناء الباقيا
يا أصدقائى النائحين تجملوا ! ... لا تصبحوا بين الأنام ألاهيا
تبًّا لقلب لم يذق مجد الأسى ... و بِلًى لقلب لا يملّ تشاكيا
أغلوا الجراح فلن تروا مثل الجوى ... للعبقرية مُنضجاً ومواتيا
إن القريض أعز مجداً من فتى ... يمسى و يُصبح ضارعاً متباكيا
لا يستحق الخلد شِعر ناحب ... تتقاطر العبرات منه جواريا

* * *

يا أيها الشاكى ! إلى من تشتكى ؟ ... أفأنت مُلفٍ فى الأنام مواسيا ؟
و إذا لقيت فإن فى إشـفاقه ... ورثائه ذلاً لنفسك كافيا
أم للطبيعة ما تبث وأذنها ... موقورة ما إن تجيب منادِيا
تشكو فتمتنق الطيور على الرُّبى ... بين الغصون ضواحكاً ولواهيا
وتنوح والأزهار تضحك خلسة ... والجدول المِطراب يسخر جاريا
هل أسكنت يوماً لشاكى علة ... طيراً على عرش الأزاهر شاديا
أو حطمت أغصانَها لفجيعة ... أو مزقت حُللا ترف زواهيا
أوَ لم تجىء هذى الطبيعة مرة ... ولهان تفتقـد الحبيب النائيا
كم جئتها قبلُ فى كنف الهوى ... وقضيتما فيها ضحى وأماسـيا
الزهر حولـكما يرفُّ مهنئاً ... والطير فوقـكما تحوم شواديا
والغصن مخمور يصفق ناثراً ... قُبَلاً على عطفيكما ولآليا
أودعتماها الذكريات حبيبة ... تحكى أزاهرها اللطافُ، غواليا
وكتبتما فوق الجذوع مواثقاً ... ونقشتما فوق الصخور أساميا
واليوم ...! تأتيها وحيداً شارداً ... ترجو بمغناها لجرحك آسـيا
فانظر إليها اهل رعت ذمم الهوى ... أو خلدت ذكراً حلَوْن خواليا
سائل افلست ترى لعهدك ذاكراً ... وابحث فلست ترى لحبك راعيا
واجزع! فلن تلقى لخطبك جازعا ... واندب افلن يلقى بكاك مباليا !
ما بالها تاهو وأنت مكلّم ... تتلمس الذكرى وعهداً خاليا
إن الطبيعة غادة فتانة ... لا تعرف القلب الوفى الحانيا !

* * *

أحبيبى الغالى ، وأنت مخاطبى — !
هيا استشفَّ من القصائد ما بيا
هذا القريض يشف عما تحته . ... أتظن قلبى بعد ذلك ساليا ؟
ألهو وأضحك ليس يبصر ناظرى ... ماذا تـكنُّ أضالعى وفؤاديا
أتقول : لا يذكى الهيامُ قصائدى !
لولا لحاظك ما زكتْ أشـــعاريا
أقصائد يحملن آلام الهوى ! ؟ ... يا هونهن ! ولو يكنَّ دراريا
وأنا قصيدتك البديعة صغتُها ... من فيض سِحرك أبحراً وقوافيا
و بخافقى ما لو تقسمه الورى ... لوسع القلوبَ على الزمان خواليا
لـكننى أغلى فؤادى أن يرى ... بين الأنام — وأنت فيه — داميا

(دمشق)

أمجد الطرابلسى